الرئيس السادات على استعداد لأن يسافر غداً إلى الرياض إذا ...

أنيس منصور

تعبير

الدماء في كل مكان . لأسباب مختلفة . ولذلك فالحرب هي طبيعة العلاقات بين الناس . أما السلام فهو كائن غريب . ولذلك يحاول كل شعب أن يمنحه حق اللجوء السياسي ، أو يعطيه شرف المواطن الصالح ، وبسبب هذا الحديد والنار . . لا يمكن أن يكون الإنسان متفرجا على مصائب الآخرين . لأنه هو طرف . ولذلك فلا أحد بريء . أو لا أحد على الحياد مما أصاب اليهود قديما ، ومما يصيب الشعب الفلسطيني بحديد اليهود ونارهم . .

ويوم شاهد الناس مسرحية « بعد السقوط » للكاتب الأمريكي اليهودي آرثر ميللر ، أحس الناس مباشرة بالمعنى الذي قصده المؤلف ، من أول لحظة . فالمسرح مفتوح بلا ستائر . والبطل قد جلس في المقدمة وقد أدار ظهره للناس . وموضوع القصة هو : من الذي قتل مارلين مونرو ، زوجة مؤلف المسرحية ؟ . .

أما جواب المؤلف فهو : أنها هي التي قتلت نفسها . انتحرت . ولذلك فهي القاتل والقتيل معا . ولكن الذي يريده المؤلف ، هو توجيه اللوم للمشاهدين في كل مكان : كيف إن انتحار امرأة قد هز الدنيا كلها ، ولم يهز الدنيا إحراق ملايين اليهود في كل مكان ؟ . . فإذا كان بعض الناس قد تسبب في انتحار مارلين مونرو . فإن العالم كله مسئول عن جريمة الحريق الشامل لليهود في أفران الغاز . فكل المتفرجين متهمون ! . .

ولذلك فشيء واحد قد اتفق عليه العالم كله اليوم : لا أحد على الحياد مما يلقاه الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة . ولذلك تحاول كل دول العالم أن يكون لها رأي ، أو موقف يخفف ويلات شعب مطرود من أرضه ، ويحاول كما حاول اليهود ، أن تكون أرضه وطنا ، وأن يكون وطنه دولة مستقلة ذات سيادة ، مثل جزر القمر وجزر مالديف وجزر فيجي ، وغيرها من « النكت الجغرافية » على سطح الأرض ! . .

أما موقف العالم من اتفاقية كامب دافيد فمعروف . ورفض الدول العربية لهذه الاتفاقية معروف ، وإن لم يكن العرب على وفاق تام فيما بينهم . وإن كانوا قد اتفقوا على شيء واحد هو : عجزهم عن عمل شيء آخر غير الذي أنجزته مصر . .

وأمام هذا العجز العربي بادرت مصر بالسلام . ومضت فيه . وحاولت الدول الأوروبية أن يكون لها دور . وبادرت أمريكا ومصر وإسرائيل برفض هذا الدور . .

واتفقت جميع الأطراف – بما في ذلك الفلسطينيون – على رفض الدور الأوروبي الذي ليس إلا استغلالا للظروف ، وتسجيلا لموقف لا يفيد أحدا ! . .

الأمير فهد
أكبر من قرار

شمبت وأرهيا
أغنى أغنياء العالم

أما الموقف الإسرائيلي فهو ، كشويش ، عن قصد ، على كل محاولة في طريق الحكم الذاتي . فإسرائيل أثارت قضايا تخفي صراعاتها الحزبية . فإثارة قضية القدس عاصمة إسرائيل ، لا معنى لها . إن الموقف العالمي من القدس معروف ومقرر في الأمم المتحدة ، وفي اتفاقية كامب دافيد . وإذا كانت الأحزاب الإسرائيلية قد اتفقت على وضع القدس ، فإن جميع الأطراف قد اتفقت على رفض وجهة النظر الإسرائيلية . .

❑❑❑

ومازلنا مع إسرائيل نواجه مدرستين من التفكير في حل قضية الحكم الذاتي . .

المدرسة « التاريخية » التي يمثلها السيد مناحم بيجين . وترى أن إسرائيل يجب ألا تنسحب من الأرض المقدسة التي جاءت في التوراة – أي الضفة الغربية (يهودا والسامرة) والقدس . ومن أجل استعادة هذه الأرض يجب أن تقام المستعمرات المسلحة في قلب الكثافة العربية . .

والمدرسة « الأمنية » – وهي التي يمثلها حزب العمل . فيرى الحزب أنه لا ضرورة للتمسك بالضفة الغربية وإقامة المستوطنات فيها ، ويرى الابتعاد عن الكثافة العربية . وأن أمن إسرائيل هو الاتفاق مع العرب . وأن يكون لإسرائيل وجود محدود في الأرض المحتلة . .

وربما كان الخلاف بين السيدين بيجين وفايتسمان ، هو على مفهوم الأمن عند الرجلين . فبايتسمان يرى أن المستعمرات لا تحقق الأمن . بل لا ضرورة لها . وهو بذلك أقرب إلى حزب العمل . .

ومن بين الشوشرة الإعلامية أو السياسية التي تصنعها إسرائيل : مسألة الإشراف الدولي على المرحلة الأخيرة للانسحاب ، ومراقبة قوات الطرفين . . وعلى الرغم من أن هذه قضية سابقة لأوانها – أو ليست قضية – فإنه يمكن الاتفاق عليها فورا . فقد سئل السيد بيجين عن هذه القضية . فكان من الطبيعي أن يرد قائلاً : إننا إذا لم نتفق مع مصر عليها ، فلن يكون انسحاب . . وهذا ماقاله السفير بن أليسار في لقائه الأخير مع الرئيس السادات . .

ونحن لا نختلف مع رئيس وزراء إسرائيل في ذلك . إنما نرى أن حل هذه المشكلة – إذا كانت مشكلة – سهل تماما . فمن الممكن أن تتولاه أكثر من دولة . ومن الممكن أن تتولاه أمريكا وحدها . ومن الممكن أن تتولاه نحن مع إسرائيل ، فإذا حدثت تجاوزات أو اختراقات فمن الممكن الرجوع إلى لجنة مصرية إسرائيلية مشتركة تلتقي في رفح أو في شرم الشيخ . .

ويبقى الموقف الإسرائيلي في الضفة الغربية . فلن يكون أمن ولا سلام ما دامت أعمال العنف ضد الشعب الفلسطيني متجددة . والعنف يولد العنف ، ولا يخفف من جرعة العدوان على زعماء الضفة الغربية ، أن مرتكبي الجريمة كانوا يفكرون في ارتكاب جرائم أخرى ضد رئيس الوزراء ، وضد وزير الدفاع السابق . فهم مجرمون ما داموا يستخدمون الرصاص قاضيا للخلافات السياسية والدينية . .

وعلى ذلك فلن يتحقق الأمن في الضفة الغربية مع وجود قوات الاحتلال الإسرائيلية ، تتربص بالناس ، وتغري المتطرفين اليهود بالاعتداء عليهم ! . .

وقديما كانت للفيلسوف السياسي مكيافيللي نصيحة وجهها إلى واحد من نبلاء أسرة سفورزا . قال له مكيافيللي : إن هذه القلاع التي ألبتها في مدينة ميلانو ، سوف تخلق لك من المشاكل أكثر مما تتصور . إن هذه القلاع هي أكبر دليل على أنك خائف من شعبك . وهذا الخوف دليل على أنك ضعيف . وهذا الضعف يغري الشعب بأن يتجرأ عليك ! . .

وقال مكيافيللي : إن الذي يكرهه الشعب لا تحميه القلاع . بل إن شعوبا أخرى سوف تنضم إلى الشعب الذي يكره حاكميه . .

وليست هذه القلاع القديمة إلا المستوطنات الإسرائيلية الجديدة لحماية اليهود من الشعب الفلسطيني . إنها لن تحمي اليهود . بل ستغري العرب بالانتقام دائما . .

والمسدس هو المسدس ، ولو اتخذ شكل أغصان النخيل ، ولو اتخذ الرصاص شكل حبات الزيتون ! . .

❑❑❑

والدول الأوروبية تحاول أن يكون لها موقف محدد موحد . وسوف ينتظر العالم كله ما الذي سوف يفعلونه في الأسبوع القادم في مدينة البندقية ؟ – نريد أن نعرف ما الذي سوف يفعله « نجار البندقية » ؟ . .

وإن كان من المعروف مقدما أن أية محاولة لنقض اتفاقية كامب دافيد مرفوضة . وقد هددت أمريكا بالفيتو في يدها . وتزعمت الحكومة الفرنسية موقف الرفض لأمريكا في المعسكر الأوروبي . ولكن فرنسا تحاول أن تخفف من حدة موقفها ، عن طريق اتصالات سرية مع الدول العربية . وقد أدى ذلك إلى إضعاف الموقف الفرنسي ، ورفضه المنظمات الفلسطينية . لأن موقف فرنسا ليس مبدئيا ، إنما موقف انتهازي فقط . .

ريس ديسان
أعصب أوروبا وأمريكا والعرب

تروردو
أحد تجار البندقية

ستشار كرايسكى
أكرههم فيما العرب واليهود

كوسيجا
الأرهب بجناح إيطاليا

وقد حاول وزير خارجية فرنسا السيد يونسيه فى كلمة ألقاها فى جامعة فى احدى الجامعات الأمريكية ، أن يبين وجهة نظر حكومته . فجاءت اعتراضا على « السلوك » الأمريكى المتعالى على فرنسا ، وعلى أوروبا الغربية كلها . فقال فى لهجة الأستاذ الذى ذهب إلى أمريكا ليعلم رئيسها ووزير خارجيتها : هناك فرق بين التوافق والتطابق . فنحن على استعداد لأن نتوافق ونتفق مع أمريكا . ولكن ليس من الضرورى أن نتطابق معها فى كل شىء . . فالاتفاق يجب أن يكون بين شركاء متساوين ، وأن تكون هناك وجهات نظر مختلفة . . وأن تعترف أمريكا بأن لدول أوروبا الغربية دوراً قوياً . . لأن أمريكا ليست هى الدولة الوحيدة فى العالم . .

أى أن فرنسا قد اتخذت هذا الموقف من النزاع العربى الإسرائيلى ، لأنه لا يصح أن توافق على ما قررته أمريكا ومصر وإسرائيل ، وإلا كانت تابعا لا حرية له ! . .

فماذا قررت فرنسا وغيرها ؟ . .

هذا ما سوف تراه فى الأسبوع القادم . وهو مرفوض منذ الآن من جميع الأطراف . .

بيجين وقايتسمان
التاريخ والأمن

ومرة أخرى يلتقى ملوك الصناعة يومى ٢٢ و٢٣ يونيو فى مدينة البندقية – إنهم تجار البندقية . كارتر (أمريكا) وأوهيرا (اليابان) وشميت (ألمانيا) وديسان (فرنسا) وثاتشر (بريطانيا) وكوسيجا (إيطاليا) وتروردو (كندا) . .

ولن يكون الاتفاق بينهم سهلا فى الاقتصاد أو فى السياسة . .

وإذا كانت التوراة تقول إن الله « وحده » قد خلق العالم فى ستة أيام . . فما الذى يستطيع أن « يخلقه » سبعة من الزعماء فى يومين اثنين فقط ؟ ؟ . .

إن الموقف الأوروبى الغربى أعقد وأصعب وأضعف من أن يتخذ قرارا واحدا فى أية قضية،والأدلة على هذا البرهان وألوان كثيرة . مثلا : أفغانستان وإيران والدورة الأولمبية . . والقضية الفلسطينية . .

ومن الصعب أن يعترف كل هؤلاء بالفشل – ولكن من الأصح أن يكونوا واقعيين . وأن يتدفعوا ويضغطوا معا على كل الأطراف ، من أجل التخلى عن سياسة « محلك سر » إلى سياسة السير إلى موقع على الحدود بين إسرائيل والدول العربية كلها . .

وربما كان المستشار النمساوى برونوكرايسكى أوضح الأوروبيين فى تصوره لحل القضية . فهو يرى أن السيد بيجين شخصية لها فلسفة ، وأنه يستحق الاحترام . ولكن المشكلة مع رئيس وزراء إسرائيل أن الخلاف يجىء دائما عند تطبيق هذه الفلسفة . ولذلك يجب أن تظهر فلسفة جديدة فى إسرائيل . . وإلا تعاظم الخطر على حياة إسرائيل نفسها فى قلب هذه الكتلة العربية القوية الغنية القادرة على شراء الأسلحة النووية والصاروخية فى أى وقت . .

ويقول كرايسكى : يجب أن يعرف السيد بيجين أن هناك دولا عربية تتطلع إلى التضامن المدمر . . أى إلى الحرب التى توحد صفوف العرب ضد إسرائيل من جديد . .

ويقول كرايسكى : إذا جاءت حكومة للعمال فسوف يؤدى ذلك إلى تشجيع الفلسطينيين على الحوار . وتكون لهم دولة مفتوحة الحدود شرقا وغربا . .

ونصيحة كرايسكى : أنه لابد من المفاوضات . . ولا بأس معها ، وأنه هو شخصيا قد جرب مفاوضات أقسى وأعنف من التى بين مصر وإسرائيل ، عندما عرض قضية جنوب التيرول بين إيطاليا والنمسا من ٢٥ عاما ! . .

ولابد أن اجتماع تجار « البندقية » فى هذا الشهر ، سوف يشهد مزايدات سياسية . فألمانيا ذات الموقف الواضح تستعد لانتخابات هذا العام ، وفرنسا تستعد لانتخابات العام الجديد . . والدول الأخرى تعانى من الإرهاب العرقى والدينى ، ومن الودائع الذهبية فى بنوكها ، وتخشى الغضب الأمريكى والتحفز السوفيتى ! . .

رئيسا يوسف درس لأمريكا

أما الموقف السعودى فقد جاء فى الحديث الذى أعلنه الأمير فهد ، من أنه مستعد أن ينضم لمفاوضات السلام إذا أعلنت إسرائيل استعدادها للانسحاب من الأراضى المحتلة . .

ولا يهم بعد ذلك أن الأمير فهد قد تنصل من هذا التصريح ، فليس صحيحا أنه لم يقل ما قال . .

وما أعلنه الأمير فهد هو أسلوب عربى نموذجى . فبعض الزعماء العرب قالوا مرارا لكل أبعاد القضية – مثل الأمير فهد . ولكن « الرفض » العربى هو الخوف من اتخاذ القرار . فليس بين العرب جميعا اتفاق على قرار واحد . .

حتى الرئيس الأمريكى كارتر قد عانى من ذلك كثيرا . فأرسل خطابا بخطه إلى الرئيس السادات . ونسخة من هذا الخطاب إلى الأمير فهد . ومضمون الخطاب أن الرئيس الأمريكى يشكو من الخلافات بين مصر والسعودية . ويقول : إن الخلاف بينكما يسبب لى متاعب كثيرة فى الداخل والخارج . فيا ليتكما اتفقتما . أو حتى حاولا ذلك ! . .

وهى مشكلة الرئيس السادات أيضا . فالجماهير فى مصر وفى السعودية تستعجله أن يجد للعرب حلا . ولذلك أشاعت الجماهير أن الرئيس السادات قد سافر إلى السعودية ، وأنه عاد . وبعد عودته قرر وقف المفاوضات . .

والمصريون العائدون من السعودية يؤكدون أن الرئيس السادات قد سافر إلى السعودية . وأن أحضانا ودموعا وعناقا أخويا حارا حدث فى مطار الرياض . . إلخ

والرئيس السادات يقول : إننى على استعداد لأن أسافر غدا إلى الرياض لو أن فى السعودية قرارا واحدا . . إرادة واحدة . فإذا كنت قد ذهبت إلى الكنيست ، فهل يصعب وجدانيا أو عقليا ، أن أذهب إلى الرياض . .

وإذا كان حديث الأمير فهد يكشف عن أعماقه هو ، فإن التنصل مما جاء فى هذا الحديث يفضح الصراعات الداخلية عند صانعى القرار فى السعودية .

أما القرار المطلوب أو المنشود فهو أن يعلن أحد القادة السعوديين ما الذى يمكن عمله من أجل تحرير الأرض العربية وإقامة الدولة الفلسطينية ؟ هل هو الحرب ؟ كيف ؟ هل هو السلام ؟ كيف يكون بلا مفاوضات مع إسرائيل . أو مع إسرائيل وأمريكا ومصر . أو مع إسرائيل وأمريكا والشعب الفلسطينى ؟ . .

وكان من الممكن استئناف مفاوضات الحكم الذاتى فى أى وقت . ولكن كيف يتيسر ذلك و « التشويش » الرسمى الإسرائيلى مستمر . والدماء العربية تسيل . والبيانات الاستفزازية لوزير الخارجية السيد شامير ، والغارات المتوالية على لبنان ، وعلى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ؟ . .

كيف تتعجل إسرائيل « تطبيع » العلاقات مع مصر وهى تتعمد إحراج الشعب المصرى . . وهو شعب عرف ؟ . . إن إسرائيل تشكو من أن التطبيع قد وصل إلى درجة الركود من الجانب المصرى . . فى الوقت الذى تعطى فيه السفارة المصرية فى تل أبيب مائة تأشيرة دخول يوميا . لا تعطى السفارة الإسرائيلية تأشيرة واحدة . .

ربما كان التطبيع قد تم فى مجال واحد . هو مجال « الكباريهات » الرخيصة فى الصناديق الأليفة فيهى بالملايين فى الموازنة المصرية ! ! . .

ولا شك أن السلام مع مصر هو جزء من السلام الشامل . وليس هو السلام الكامل . وإلا كان حلا منفردا . وهو ما رفضناه ونرفضه اليوم وغدا . .

فالسلام ليس هو السلام « الرسمى » – أى تطبيع العلاقات بين الوفود الرسمية . .

وليس هو السلام « العسكرى » – أى بين القوات المتحاربة ، فلا تحمل سلاحا ضد بعضها البعض . .

إنما هو السلام « الشعبى » – أى بين الشعب المصرى والشعب الإسرائيلى . وهذا فى حاجة إلى وقت طويل . لقد بدأنا . ونجحنا . ولكن العقبات التى تخلقها الحكومة الإسرائيلية تصدم مشاعر الناس ، وتشككهم فى كل شىء . . ونحن وراءنا ووراءهم : تاريخ طويل عميق عريق من سوء الظن والمرارة . .

ومن الممكن أن نجعل لنا شعارا : العام القادم فى ميناهاوس . . أو فى هرتسلية . . وتمضى فى المفاوضات . ولكن المهم دائما أن نجلس معا . نحن أو غيرنا من العرب . ونتناقش . ولا توجد وسيلة أخرى . ومن المؤكد أن الذى أقوله كلام مكرر . ولكن ما فى إذا كنا ننسى ما يقال ؟ . إما لأن الكلام المكرر يتساقط من الذاكرة . وإما أن التكرار يبعث على الملل . وكما أن المفاوضات هى الحل الوحيد . فالتكرار هو الأسلوب الوحيد أيضا ! . .

ولو استعار رسام قلمى ، ورواح يصور الواقع العربى أو العالمى . لاختار هذه المعانى : إن التاريخ نوع من الوشم . . أى من الرسم بالنار على ظهر البشرية . . أو لاختار لوحة معناها : إن التاريخ يمسك قلما من الذهب مبللا بالبترول . وقد انتقشت على القلم كلمة : الله . .

وهى ذلك دليل على كل المعانى المادية والمعنوية ، الأخلاقية واللاأخلاقية . ولكن هذه هى طبيعة البشر الذين يموتون من أجل الشعب الفلسطينى . والذين يكافحون من أجل الثروات العربية . أما كلمة : الله . فهى الراية التى يحارب تحتها الجميع أو يزعمون ذلك ! . .